

فحسب، بل ضد كل نسوة المجتمع، وهكذا بالنسبة إلى مسيحيات البصرة وبغداد! وبقدر ما مارس المتعصبون من جماعات طارئة ذلك في الموصل بالشمال، فإن المتعصبين (الشيعة) من قوات بدر مارست الدور نفسه في البصرة بالجنوب! إن حكومة عراقية قوية إن عاجلت مثل هذا الموضوع معالجة قانونية وسياسية بإبعاد شبح التدّخل الديني في كل من الدولة والمجتمع، فإن الأوضاع ستصلح مباشرة، وبعبكسه فإن الأوضاع ستزداد سوءاً يوماً بعد آخر.

إن جذور المسيحيين العراقيين ضاربة في الأعماق، فلا يمكنهم أن يتخلّوا عن وطنهم أبداً. وإن ما يمتلكونه من موارث وبيع وكنائس وأديرة غارقة في تاريخ عميق لا يمكن تركها بسهولة. لقد تحمّلوا عبر التاريخ الصعاب وصادفوا تحديات كبرى منذ فجر المسيحية. إن موجة التعصب الديني لا بد من إطفائها، وإن أي تفكير بتهجير هذه الأقوام الحضارية الجميلة والعريقة هو تفكير خيالي نزق ولا بد من محاربتة، كما أن الرأي العام العراقي لا يمكن أن يرتهن للمتعصبين، فهو مشروع لكل العراقيين. العراقيون المسلمون يتوّضح مدى تعاطفهم مع المسيحيين ومحبتهم لهم وهم الذين شاركوهم التاريخ كله بيسره وعسره، وبكل مكابذاته وانتصاراته.

إن ثمة محبة تصل عند بعض من المسلمين إلى حد العشق للمسيحيين، بل إن هناك زيجات بين الطرفين. وكم قرأنا من أشعار رائعة وأقوال ماثورة عن حياة مشتركة كانت وستبقى رائعة. فكل العراقيين يدركون أن الطيف المسيحي العراقي له إبداعاته وخدماته وجمالياته واندماجاته والتعلق بأرضه وترابه، فليس من الهين أبداً أن يبقى العراق بجملته يسير نحو الهلاك من دون أن يتوقف ليسترد عافيته. فهل يسترد عافيته قريباً؟ هذا ما نأمل حصوله.

\* مؤرخ واكاديمي عراقي مقيم كندا.

والأمنية. إن الثمن الذي يدفعه المسيحيون لا شك أنه كبير جداً، ولكنه كالثمن الذي يدفعه كل أهل الموصل وبغداد والبصرة والمدن الأخرى بمختلف أطرافهم. إن هذه «الهجمة» التي طالت المسيحيين العراقيين ستنتهي حتماً، عندما يترسّخ نظام حكم جديد قوي في العراق باستطاعته القضاء على الإرهاب واستئصاله تماماً.

### مستقبل المسيحيين في العراق

إن مستقبل المسيحيين جزء من مستقبل العراق، فالكارثة ألمت بالجميع، وإن ما أصابهم لا يمكن أن يُعزى في أسبابه إلى الواقع، بقدر ما يعزى إلى الطارىء إذ لم يصبهم وحدهم، بل أصاب كل المجتمع. ربما سيبقى التحدي ضد العراقيين كلهم قائماً لمرحلة زمنية مقبلة، وربما حتى ٢٠٠٩، عندما سيجد العراق بداية حقيقية لطريقه إن استطاع أن ينجح في تلاؤماته الاجتماعية وتوافقاته السياسية. إن العراقيين أنفسهم قادرون على الاستجابة للتحديات التي تواجههم داخليا وإقليمياً أكثر مما تواجههم دولياً، فثمة تعاطف دولي مع الشأن العراقي حتى الآن. إن أي توافقات سياسية محترمة ورصينة ستنعكس بوضوح على العراق ونجاح تجربته. أما إن أخذ العراق طريقاً آخر بفشل تجربته من خلال انعدام التلازم وافتقاد الانسجام وضياع التوافقات، فإن الوضع سيشهد واقعاً تاريخياً مأساوياً من نوع آخر - لا سمح الله.

إن المسيحيين العراقيين في كل من الحالتين سيعيشون كما يعيش كل المجتمع بمختلف شرائحه وقسماته وعناصره. إن مستقبل المسيحية في العراق لا يمكن الاستخفاف به، إن لما يزل المسيحيون راسخين في أرضهم وفي قراهم وفي مدنهم. وإن ما أصابهم اليوم سيغدو وضعاً طارئاً، فلا يمكن أبداً أن تتغير عاداتهم وتقاليدهم قسراً، فمسيحيات الموصل قد تحجب خوفاً من الاضطهاد الذي يمارس ليس ضدهن